

الأساس فهي الطب النفسي الافتراضات الأساسية: الفصل الخامس:

ملف اضطرابات الإراحة (19)

ملاحظات شخصية من واقع الممارسة والثقافة ([1])

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD19415.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/04/19

السنة الثامنة - العدد: 2788



حين أتكلم عن "ثقافتنا" لا أخص بالذكر ثقافتنا العربية أو الإسلامية أو الشرقية، وإنما أتكلم عن "الثقافة الأخرى"، فقد سادت في العقود الأخيرة هجمة تجميعية تليفقية ملتبسة تحت اسم "العولمة"، وهي قيمة اقتصادية ثقافية استعمارية تبشيرية كاسحة، ترتدى أقنعة متعددة وفيما يلي بعض ما يوضح هذه المسائل التي يتناولها هذا الملف، وبالذات هذه النشرة.

الثقافة الأخرى ليست عولمة مضادة لكنها ببساطة هي "أخرى!!"، وهي:

- ثقافة الحياة مقابل ثقافة السيطرة.
- ثقافة العقول المتبادلة المبدعة مقابل ثقافة العقل الأوحى الطاعى.
- ثقافة الوعي مقابل ثقافة الرأى.
- ثقافة الناس مقابل ثقافة الفرد.
- ثقافة الإيمان مقابل ثقافة الأوصياء على الدين.
- ثقافة التطور الإيقاعى المستمر مقابل ثقافة نهاية التاريخ.

لن أدخل فى تفاصيل أى من ذلك، وأنصح من يريد أن يطلع على بعض ما أقصد أن يرجع إلى النشرات ⁽²⁾ **(العولمة ونوعية الحياة)**، **(هم يحتاجوننا بقدر ما نحتاجهم)** أو إذا أراد أن يرجع إلى منظومة متكاملة فسوف يجدها فى كتاب العظيم أ.د. عبد السلام المسدى باسم "العولمة والعولمة المضادة"⁽³⁾.

بصراحة حين رجعت إلى الكتاب وجدت أنني خطت أغلب ما فيه، وكتبت تعليقات إعجاب وتلمذه، لأننى من حوالى أكثر من عشر سنوات كنت مدعوا لمناقشته فى دار النشر والمجلة "سطور"⁽⁴⁾ بفضل كرم صدق المسئولة د. فاطمة نصر رئيسة التحرير.

سوف أقصر حديثى فى هذه النشرة على المنهج الذى ارتضيته: وهو البدء من مرضاى ومن ثقافة ناسى الحقيقين ثم أنتقى بالسعى أو بالصدفة مع ما يدعم ما وصلنى .

هذه الثقافة الأخرى من المنظور التطورى:

ما دما قد انتبهنا إلى أن هناك إرادة لا تصل إلى الشعور، ربما تكون أقرب إلى إرادة الحياة الذى اعتبرتها جزءاً لا يتجزأ من فضل الله على من ينجح فى امتحانات التطور نوعاً بعد نوع، مع أن النتيجة لم تكن فى صالح أغلب الأحياء، فالذى بقى هو واحد فى الألف فقط، هذه الحقيقة العلمية التى أكررها باستمرار، هى حقيقة وعلمية، وأنا لم استغربها فالذى لا ينجح يرسل، هذه بديهية، نعم لم تزعجنى لكنها أنذرتنى، وودت لو أنذرت كل بنى نوعى وخاصة من بيدهم الأمر والنهى والقرش والطيارة بلا طيار والثورة والصواريخ الحاملة لها وغيرها، ما علينا ⁽⁵⁾.

حين أتكلم عن "ثقافتنا" لا أخص بالذكر ثقافتنا العربية أو الإسلامية أو الشرقية، وإنما أتكلم عن "الثقافة الأخرى

سادت فى العقود الأخيرة هجمة تجميعية تليفقية ملتبسة تحت اسم "العولمة"، وهي قيمة اقتصادية ثقافية استعمارية تبشيرية كاسحة، ترتدى أقنعة متعددة

الثقافة الأخرى ليست عولمة مضادة لكنها ببساطة هي "أخرى!!"

الثقافة الأخرى هي ثقافة الحياة مقابل ثقافة السيطرة

الثقافة الأخرى هي ثقافة العقول المتبادلة المبدعة مقابل ثقافة العقل الأوحى الطاعى

الثقافة الأخرى هي ثقافة الوعي مقابل ثقافة الرأى.

أعود إلى ما يسمى "القصدية" التي أشار إليها "دانيال دينيت"، باسم "القصدية" أو الغائية التي أردها كثيرا دون تفصيل، أو "التوجه" الذي سبق أن وصفته في مقابل الإرادة في بداية هذا العمل أثناء مناقشة معالم الصحة النفسية (نشرة: 2007-12-25) **أنواع العقول وتعدد مستويات الوعي**) الله سبحانه خلق الحياة لتبقى ونظمها بقوانين التطور لتستمر، لم يخلقها عبثا ولا دون تمهيد للسعي على هذا الطريق المفتوح للكادحين كدحا، المحبين للحياة والأحياء، المتوجهين إلى وجهتهم المنغرس في تركيبهم البدني من الفيروس حتى الإنسان إلى ما بعده (6)، لكن هذا الواقع التطوري الشديد البساطة البالغ الوضوح وصلني من مرضاى ومن اجتهدى، ومن تقى بمن اجتهد بما يقدر وما يحاول أن يحقق به ما نبض في "كله" (7)، وصلني من أكثر من مصدر وتدعم مؤخرا بهذه الإنجازات العلمية التي تلوح للكائن البشرى أن أمامه فرصة لتصحيح مساره، ومن هذا المنطلق سوف أحاول أن أقصر حديثي على ما وصلني أنا وزملائي من خبرة عملية تعد بأن تدعم كل ما استطعت أن أجمعه أو أطلع عليه من هذه المسألة الشديدة الحساسية البالغة الأهمية.

خرجت من خبرتي خلال النصف قرن من الممارسة (إلا ثلاث سنوات) بما يمكن أن أضعه في الخطوط العريضة التالية:

- لا ينفصل الإيقاع الحيوي عند الإنسان عن الإيقاع الحيوي في الكون عامة.
- إن الصعوبة التي أشرنا إليها في مقام كيف أن العلاقة بين البشر تستلزم تحمل الغموض في مواجهة ضرورة تناقض الوجدان الإيجابي بما يترتب عليه من آلام حافزة للاستمرار في معاناة الحفاظ على العلاقات بين البشر دون الهرب منها أو اختزالها، (نشرة: 2015/2/2 من **تناقض الوجدان إلى "تحمل الغموض" إلى الإبداع**) أو سوء تأويلها، جاءت هذه المواجهة حية ماثلة أثناء العلاج الجمعي حيث عايشنا أننا في هذا العلاج ننتهي إلى الوعي الجمعي الذي يتخلق تخليقا أثناء الانتظام في العلاج، أكثر من انتمائنا إلى الوعي البيئشخصي بيننا وبين بعضنا البعض، مع أننا نبدأ منه طبعاً، نعم نبدأ من الوعي البيئشخصي، ولكن في ظروف تسمح لنا أن نتجاوز ما نشأنا عليه حتى أمرضنا وفشلنا في انتمائنا لبعضنا البعض أشخاصا منفصلين عن الجماعة وحلت الألفاظ المفرغة، والصفات السطحية، والآراء المعقلنة، محل جدل الوعي مع الوعي، وقد وجدت أن هذه الصعوبة العلاقية يحلها الانتماء إلى الوعي الجمعي في المجموعة مما أكد لي ما يصلني من ثقافتنا قبل أن تشوه أو تُسخ بالتقليد والتسطح والتعبية.
- إن حركية الانتماء إلى الوعي الجمعي فالكوني تتعلق ببرنامجين أساسيين هما من برامج التطور البنائية الأول: برنامج الدخول والخروج (8)، والثاني: برنامج جدل التشكيل بين التناقضات.
- انطلاقا من ثقافتنا الخاصة هذه وصلت إلى ما سبق أن أوجزته في (نشرة: 2015/3/1) **اضطرابات الإرادة: من منظور الإيقاع الحيوي - الإرادة عملية متغيرة مع نبض الإيقاع**، ومع أنني أرى أن الرجوع إليها ضرورة لمن يريد أن يتابع هذه الفروض الحالية معنا.
- إن الثقافة التي أنتهي إليها، والتي تأكدت من طبيعتها معالمها أثناء ممارستي لمهنتي حوالي نصف قرن، منها أربعة عقود في ممارسة العلاج الجمعي قد تدعمت مؤخرا في متابعتي لما يستجد في علوم التطور والبيولوجية العصبية والوعي الكوانتي (9) كل هذا سمح لي أن أطرح فروضا أكثر تحديدا فيما يتعلق بإشكالية الإرادة (والإبداع والحرية فهما لا ينفصلان).

إن الثقافة الممتدة عبر دوائر الوعي تستلزم من أهلها أن يضعوا في الاعتبار كل الوسائل الممكنة

الثقافة الأخرى هي ثقافة الناس مقابل ثقافة الفرد

الثقافة الأخرى هي ثقافة الإيمان مقابل ثقافة الأوصياء على الدين.

الثقافة الأخرى هي ثقافة التطور الإيقاعي المستمر مقابل ثقافة نهاية التاريخ

هناك إرادة لا تصل إلى الشعور، ربما تكون أقرب إلى إرادة الحياة الذي اختبرتها جزءاً لا يتجزأ من فضل الله على من ينبغ في امتحانات التطور نوما بعد نوع

الله سبحانه خلق الحياة لتبقى ونظمها بقوانين التطور لتستمر، لم يخلقها عبثا ولا دون تمهيد للسعي على هذا الطريق المفتوح للكادحين كدحا، المحبين للحياة والأحياء، المتوجهين إلى وجهتهم المنغرس في تركيبهم البدني من الفيروس حتى الإنسان إلى ما بعده

لا ينفصل الإيقاع الحيوي عند الإنسان عن الإيقاع الحيوي في الكون عامة

إن حركة الانتماء إلى الوعي الجمعي الكونى تتعلق ببرنامجين أساسيين هما من برامج التطور البنائية الأول: برنامج الدخول والخروج [8]، والثانى: برنامج جدل التشكيل بين التناقضات

إن الثقافة التى أنتهى إليها، والتى تأكدت من طبيعة معالمها أثناء ممارستى لممتهى حوالى نصف قرن، منها أربعة عقود هى ممارسة العلاج الجمعي قد تدعمت مؤخرا هى متابعتى لما يستجد فى علوم التطور والبيولوجية العصبية والوعي الكوانتى

إن الثقافة الممتدة عبر دوائر الوعي تستلزم من أهلها أن يضعوا فى الاعتبار كل الوسائل الممكنة لدعم الجدل التفاعلاتى بين مستويات الوعي الفردى فالجمعي فالجماعى إلى الوعي الكونى إلى الوعي المطلق إلى الغيب

لكن إذا تكلمنا عن المتغير العلاجى فى العلاج الجمعي فسوف نجد أنه يرتبط بمدى نجاح تطبيق الوعي الجمعي خلال مدة العلاج

إن العزوف عن المغالاة فى تقديس قيم مستوردة مثل "إثبات الذات" أو "حرية الرأى" (المنطقى المعقلن)

لعدم الجدل التفاعلاتى بين مستويات الوعي الفردى فالجمعي فالجماعى إلى الوعي الكونى إلى الوعي المطلق إلى الغيب، وهذه مسألة - كما ظهرت لى فى ممارستى وتجربتى وحولى - ليست مسألة فلسفية ولا هى حتى مسألة دينية فقط، لكن إذا تكلمنا عن المتغير العلاجى فى العلاج الجمعي فسوف نجد أنه يرتبط بمدى نجاح تطبيق الوعي الجمعي خلال مدة العلاج (أثنى عشر شهرا مرة أسبوعيا فى حدود الخبرة التى أتحدث عنها وأطلق منها) [10].

يصلنى هذا الانتماء إلى الوعي الجمعي [11] فى حركيته التلقائية إلى الوعي الجماعى [12] مع التهيئة التلقائية (دون متطلبات طقوسية محددة) بامتداده إلى دوائر أوسع فأوسع، كل ذلك جعلنى أضع الفروض التالية:

أولاً: إن الإرادة الشخصية ليست منفصلة عن الإرادة الجماعية إلا فى حالات الاغتراب والمرض.

ثانياً: ليس معنى ذلك إلغاء الإرادة الفردية أو الاستهانة بها وإنما هو احترام لهذا الوعي القائم فعلا بين الفرد والآخر: الوعي البيئشخصى، وكذلك بين الفرد والجماعة الوعي الجمعي والأخير يتصف بالتوجه الضام الممتد إلى الوعي الجمعي إلى ما بعده.

ثالثاً: إن العزوف عن المغالاة فى تقديس قيم مستوردة مثل "إثبات الذات" أو "حرية الرأى" (المنطقى المعقلن) أو "تقديس الكلمة المكتوبة" يقربنا من التناقض التلقائى مع الإرادة الفردية والإرادة الجمعية خاصة فى ثقافتنا بشكل يسمح بتواصل من نوع أعمق وأرحب.

رابعاً: إن التواضع فى تصور معقول للإرادة الفردية يصبح دافعا إلى البحث عن الانتماء للجماعة دون تنازل عن حدود الذات أو عن المساحة الواجب توافرها بين الأفراد.

خامساً: المجموعات التى علمتتى ماهية الثقافة الأخرى ليست من المثقفين ولا حتى من المتعلمين جدا، ولا من الطبقة القادرة على شراء كتاب واحد، اللهم إلا الكتب المقررة إذا كانوا من الطلبة متوسطى الحال، وهى مجموعات تمثل ناسى فى مصر أصدق قليلا من المترددين على عيادتى الخاصة وحتى هؤلاء المترددين على عيادتى الخاصة هم تقريبا من نفس الطبقة ويكملون رؤيتى لناسى حيث أغلبهم من الأقاليم من أسوان حتى رأس الحكمة والعريش ومرسى مطروح والمنزلة.

سادساً: لا بد من التنويه أن أغلب المشاركين هم إما يقيمون فى القاهرة أو ضواحيها أو من بعض المدن القريبة (مثل: الفيوم أو بنى سويف أو المنوفية.. الخ)

وبعد: أورد فيما يلى بعض الملاحظات المبدئية العامة:

مقدمة:

جميع اعضاء المجموعة الذين يتكبدون المشقة ويحضرون فى نفس الموعد أسبوعيا لمدة عام كامل (52 أسبوعا قبل خصم الأجازات الرسمية) الساعة 7.30 صباحا وحتى الساعة التاسعة، ويتراوح عددهم بين ثمانية وأثنى عشر (المتوسط عشرة) وهم من الجنسين ويمثلون مجموعة غير متجانسة من الذكور والإناث يعانون من مختلف الأمراض والتشخيصات.

أثناء هذا العلاج، لاحظت استعمال تعبيرات شعبية بسيطة ومباشرة كنت أحس أنها مجرد ثقافة شائعة، لكن مع التركيز على "هنا والآن" انقلبت إلى فعل وتفاعل وحركية وعى ومن ذلك:

(1) تبينت بالتدريج عبر سنوات طوال كيف يتكون الوعي الجمعي فيما بيننا وكيف

أو "تقدّيس الكلمة المكتوبة" يقربنا من التناسق التلقائي مع الإرادة الفردية والإرادة الجمعية خاصة هي ثقافتنا بشكل يسمع بتواصل من نوع أعمق وأرحب

كنت أتجنب ما أمكنني استعمال الألفاظ الدينية مباشرة حتى نقيس الخبرة بلا وصاية من خارجها فتحتد معايشة هذا الحضور الذي يجمعنا عليه ويفرقنا عليه

أن الذي يجمعنا "هنا والآن" وقد تجلى لنا معا وبكل منا معا أيضا، هو حاضر أيضا في كل مكان بنفس الحضور ممما اختلفت الزمان والمكان وهو هو نفس الوجود، وحتى لو نسبنا

إن ما تغير فينا قادر على تنشيط هذا الوعي الشامل الحاوي المتصل على المدى الممتد إلى ما لا نعرفه بما يُطمئن ويُدعم.

في قراءاتي بعد ذلك في الوعي الكوانتي ([13]) والعقل الممتد والوعي الكوني والوعي المطلق المفتوح النهاية لم أحاول ترجمة هذه الخبرة إلى لغة دينية

يحتوي الوعي الذاتي والوعي البيئشخصي الذي يبدأ مع المعالج الرئيسي أساسا (شخصي) ثم مع المتدربين المساعدين، ثم مع أفراد المجموعة وبعضهم البعض.

(2) بعد حوالي أربعة أشهر إلى ستة لاحظت أن انتماء الأفراد ينكتف نحو وسط المجموعة بشكل تلقائي مع التركيز على "هنا والآن" وأكثر، وإذا بالكلمات الشائعة التي كنا نستعملها، وما زلنا، يصبح لها معنى آخر وحضور آخر، وبدأنا نشعر (دون أن نعلن عادة) أن الله حاضر دائما معنا بقدر ما نتواصل، وأنه الشافي وأنه "هنا والآن" ورحنا نشعر بكل ذلك شعورا قويا حاضرا ليس به - غالبا - أي تخيل أو نظرة للسماء أو تقريب أو تأجيل وأنا نجتمع على المشترك بيننا ونفترق عليه، وفهمت معنى نفترق عليه التي حيرتني ردحا من الزمن، فأن نجتمع عليه يمكن فهمها بسهولة أما أن نفترق عليه فلم أفهمها بهذا الوضوح إلا ونحن نمارسها.

(3) كنت أتجنب ما أمكنني استعمال الألفاظ الدينية مباشرة حتى نقيس الخبرة بلا وصاية من خارجها فتحتد معايشة هذا الحضور الذي يجمعنا عليه ويفرقنا عليه.

(4) قرب نهاية السنة (شهر أو اثنين) يبدأ الحديث عن الفراق وكيف أننا تعودنا لمدة أربعين أسبوعا (مثلا) أن نلتقى في نفس الدقيقة ونفترق في نفس الساعة، فماذا يمكن أن يصبرنا على انقطاع هذا الشعور المليء بالدفاء والتركيز في "هنا والآن" والتفاعل والمباشرة؟ وكان ردّي من تصوري ما يلي:

(5) خطر لي، وبألفاظ تقريبية، صريحة أحيانا أن الذي يجمعنا "هنا والآن" وقد تجلى لنا معا وبكل منا معا أيضا، هو حاضر أيضا في كل مكان بنفس الحضور مهما اختلفت الزمان والمكان وهو هو نفس الوجود، وحتى لو نسبنا، فإن ما تغير فينا قادر على تنشيط هذا الوعي الشامل الحاوي المتصل على المدى الممتد إلى ما لا نعرف بما يُطمئن ويُدعم.

(6) في قراءاتي بعد ذلك في الوعي الكوانتي ([13]) والعقل الممتد والوعي الكوني والوعي المطلق المفتوح النهاية لم أحاول ترجمة هذه الخبرة إلى لغة دينية، فمن ناحية أنا ضد تفسير الدين بالعلم وبالعكس، ومن ناحية أخرى، قبل أن نتاح لنا هذه الفرصة كان الاختزال والتجريد اللذان اعتدناهما خلال عشرات السنين قد أوصلانا إلى ما أمرضنا، وقد اهتزا من خلال هذه الفرصة التي أتاحت لتنشيط مستويات الوعي المتخلق الممتد بنا هكذا.

(7) وجدت أننا لا نلتزم في هذا العلاج إلا بقواعد قليلة لكنها محكمة وهي "أنا - أنت" "هنا والآن" وبالمواعيد الدقيقة، وكل ما عدا ذلك قابل للطرح في التفاعل، وكلما ابتعدنا عن "هنا والآن" نشعر أننا نبتعد ليس فقط عن الوعي الجمعي المتخلق وإنما عن من يجمعنا أيضا حوله.

وبعد

فقد ساعدني كل ذلك أن أبحث عنه في الأطفال والكهول والكادحين البسطاء، وأعتقد أنني وجدته بشكل أو بآخر.

[1] - قررت نشر المقالات التي أشرت إليها الأسبوع الماضي كاملة بالتتابع لما فيها من تفاصيل الفروق الثقافية التي أعنيها، وقد ظهر منها فعلا المقال الأول يوم الأربعاء الماضي باسم "العولمة ونوعية الحياة" وسوف يظهر المقال الثاني بعنوان "هم يحتاجوننا بقدر ما نحتاجهم" وتاريخه أيضا:

الأهرام: 1-6-1999.

[2]- وبعضها سوف ينشر تباعا يوم الأربعاء.

[3]- العولمة والعولمة المضاد، تأليف د. عبد السلام المسدي، كتاب "سطور" 1999

[4]- أسفت أشد الأسف على توقيت هذه المجلة

[5]- هذا ليس مقالا سياسيا فلأتوقف.

[6]- كل هذا بعيد كل البعد عن أى احتمال لتفسير العلم بالدين أو الدين بالعلم،

[7]- أعنى "كله" من اصغر وحده إلى ما لا يعرف، ومن أجزاء الثانية إلى ما لا يدرك.

[8]- In – and – out Program

[9]- علوم الكوانتم بالذات Quantam Sciences

[10]- حيث أمارس العلاج فى مستشفى جامعى يقدم فيه العلاج مجانا، ولا يشترط فى المترديين أية درجة من التعليم أو الإطلاع إذ يتراوح مستواهم ما بين فك الخط والتعليم المتوسط أو نادرا الجامعى فى مراحل الأولى.

[11] – Group Consciousness

[12] – Collective Consciousness

[13] – Quantum Consciousness

وجدت أننا لا نلتزم فى هذا
العلاج إلا بقواعد قليلة لكنهما
محكمة وهى "أنا – أنته"
"هنا والآن" وبالمواعيد
الدقيقة، وكل ما حدا ذلك
قابل للطرح فى التفاعل

كلما ابتعدنا عن "هنا والآن"
نشعر أننا نبتعد ليس فقط عن
الوعى الجمعى المتخلق وإنما
عن من يجمعنا أيضا حوله

*** **

نشرات الإنسان و التطور - اصدار حسب المجاور

أ.د. يعقوب الرخاوي

ربيع 2013 / شتاء 2014

"الإدراك... قراءة من منظور تطوري"

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.pdf
www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.rar

ربيع / شتاء 2012 - 2013

"فى تجليات ما هو موجود"

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf
www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe

ربيع - صيف 2012

"اللقاء... قراءة من منظور تطوري"

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf
www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe

اصدار شتاء 2012

من حتما يتعري الإنسان

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf
www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe

*** **

دليل نشرات "الإنسان و التطور"

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm